دفائن الخزائن

لحناب الاديب حبيب افندي الزيات

مقدمة

اتفق لجناب صديقنا حبيب افندي الزيات ان يسافر من مصر الى فرنسة فيقيم فيها مدّة . وقد انتهز فرصة وجوده فيها لينقل لمجلّة المشرق فصولاً رائقة من مخطوطات مكتبة باريس العموميّة . فنشكر لجنابه لطفهُ هذا ونهدي قرّاءنا تلك الدرر الفريدة تحت عنوان دفائن الخزائن

معلوم وزراء دمشق في الدولة التركيّة المصرية

المعلوم في عُرف كتبة الدولة المصريّة هو المرتّب الشهري ويجمعونهُ قياساً على معالم كالرسوم والمراسيم . وليس في كل ما اتّصل بنا من المصنّفات الموضوعة في شرح آداب ديوان الانشاء السلطاني كالتعريف والتثقيف وإجابة السائل الى معرفة الرسائل وصبح الاعشى واشباهها او في كتب التاريخ والتراجم ما يبيّن لنا طرفاً كافياً من احوال الموظفين والوظائف في تلك الدولة التركيّة العربية التي بلغت في عهدها شأواً غريباً من الابّهة والبذخ وارتفاع الشوكة ونظام الملك وتدبير المناصب السلطانيّة وتفردت خصوصاً في معرفة استدرار الاموال من كل مصادرها حلّت او حرُمت وتقرير الضرائب والرسوم حتى على المنكرات والقبائح كشرب الخمر وركوب الفاحشة (١ مستعينة على ضبط كثير من هذه الوظائف كالاستيفاء والوزارة بكتّاب النصارى ولاسيما الاقباط منهم بعد إكراههم غالباً على الاسلام نظراً لكفاءتهم في هذه الخدم ودُربتهم عليها وطول إدمانهم لها حتى اصابوا باستئثارهم بها حظّاً جليلاً اهاج احقاد المسلمين عليهم فكان الداعي الاكبر لإثارة كل هذه الفتن والنكبات التي كانت تجتاحهم سنةً بعد اخرى كما يتبين للناظر في اخبار تلك الدولة

وبينا نرى كل التواريخ المصرية طافحةً بذكر اللاحم والحروب متوسّعة في شرح

(١ طالع السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (المدين ١٢٢٥-١٢٣٦ من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس المجلد الاول من ٣٥٦ والمجلد الثاني ص ٢٢٩ و٤٥١)

الفتن والمكايد التي كانت بين كل فترة وفترة تُقعد دولةً وتقيم اخرى . ونشاهد كتب مصطلحات ديوان الانشاء تدقق ما شاءت في تعيين صنف الورق وقطعه في المكاتبات السلطانيَّة والنصّ على قطّة القلم ولون المداد متحفيةً في إطلاق كل هذه الالقاب والنعوت الطويلة الذيول التي كانت اقلام الدواوين تحفي في سردها وترادفها مغاليةً في التمييز بينها في مخاطبات ارباب الدولة بين ما كان ملحقاً بياء النسب او مجرّداً منها كالمجلس السامي (بالتشديد) والمجلس السامي (بدونه) وبين ما كان منسوباً الى نفس صاحب اللقب او الى شيء خارج عنهُ كالقاضوي الذي هو منسوب الى القاضي وهو اعلى من القضائي الذي هو منسوب الى القضاء . لا نكاد نجد في كل تلك الاخبار ووراء كل هذه الشقشقة الّا ما لا يروي غلّة من وصف مناصب الدولة وتعريف حقيقتها ورسومها والنصّ على ما كانت تتفرّع اليهِ من خدمة ونظر وتقف عندهُ من حلّ وعقد وعلى الخصوص ما كان يتقلّب عليها بسط وقبض وينتابها في كل دولة من رفع وخفض بحيث ان كثيراً منها كوظائف النائب والوزير والناظر والوالي مثلاً كان يختلف مدلولها باختلاف دولها فضلاً عمّا أهمل منها او فقدَ رتبتهُ ممّا لا يبقى لتعريف ماضيهِ الّا هذه الاشارات المقتصرة في معاجم اللغة وكتب المصطلح الشريف

واشدُّ ما يخفى علينا من تاريخ هذه الوظائف السلطانية الجهة المالية منها كالرواتب التي كانت معيّنةً لكل من ارباب السيوف وارباب الاقلام كما كانوا يقولون قديماً في التعبير عن ارباب المناصب العسكرية والمدنية . ولا نظن ان احداً نصَّ على مبلغ ما كان يرد في كل هلال لنائب السلطنة او لوزيرها وناظر نظّارها في المملكة الشامية مثلاً . وقد اطلتُ التنقيب في ما اتّصل بي من مؤلفات كتبة ديوان الانشاء وراجعت ما تناولتهُ اليد من التواقيع والعهود الصادرة باقلامهم في تقليد النيابات والولايات في ذلك العهد لعلّي اظفر فيها بجلاء هذا الغامض فلم القَ حيث اعملتُ النظر منها الّا التقريظ والإطراء والبلاغة في الانشاء ممّا لا يتجاوز الفائدة الادبية واللغوية حتى اذا كنت يوماً اطالع كتاب «اعيان العصر واعوان النصر» لخليل بن ايبك الصفدي المشهور لانقل منهُ ما عسى ان يقع اليَّ فيهِ من تراجم الأسالة (١ النصارى عثرتُ في مطاوي

(١) الأسالة جمع اسلي وهو كل نصراني او يهودي اتتحل دين الاسلام طوعاً او كرهاً ويقال لهُ مسلماني ايضاً . أحدث هذا اللفظ من باب التصغير والتحقير تمييزاً لهم عن المسلمين بالولادة

كلامهِ عن احدهم « عبـدالله بن تاج الرئاسة الصاحب الرئيس الوزير الكبير امين الدين امين الملك وزير الـديار المصرية والشامية » القبطي الاصل على النسخة توقيع سلطاني لـهُ بنظر النظّار بدمشق مكان الصاحب شمس الـدين غبريال القبطي والأسلمي نظيرهِ من انشاء مؤلف كتاب اعيان العصر نفسهِ صرّح فيه بما لا مزيد عليهِ من البيان والتفصيل بمقـدار معلوم ناظر النظّـار بدمشق في ايام الامير تنكز المشهور . ومن هذا المعلوم قد يمكن ان يُستدلّ بالقياس على نسبة مـا كان فوقهُ او دونهُ من الرواتب . ومن حسن الحظ ان المجلّد الذي ورد فيهِ هذا التوقيع متقن الخطّ جيّد الضبط عارضهُ على الاصل المؤلف نفسهُ كما يؤخذ من الكتابة الآتية لهُ بأوّله :

«قرأ عليّ هذا الجزء الثالث وما قبلهُ من اول كتابي اعيان العصر واعوان النصر الامام المحدّث البليغ نور الدين ابو بكر احمد بن علي بن محمد بن ابي الفتح المنذري الحنفي عُرف بابن المقصوص نفع الله بهِ . من اصل كتابي بخطي وانا اعارضه بهـذا الجزء . . . . وكانت القراءة بالحائط الشمالي بالجامع الاموي المعمور بذكر الله تعـالى بدمشق المحروسة

«وكتب خليل بن ايبك بن عبدالله الصفدي الشافعي في سابـع عشر شهر الله المحرم سنة ثمان وخمسين وسبع مائة(١٣٥٧م) حامدًا ومصلّيًا»

ومع هذه القراءة والمعارضة لا يخلو هذا الجزء من اماكن فيها بياض او نقص او اغلاط يسيرة بعضها لا محالة من سهو الناسخ ذهـلَ المؤلف عن تصحيحهِ عند المراجعة وبعضها وهو الاقل لا يبعد ان يكون من قلم الصفدي نفسهِ على فضلهِ وجلالة قدرهِ وهي صدى بعض اللهجات والملاحن العامّية وقلّ ان يسلم منها كاتب من كتبة دولة المماليك المصرية

وقد رأيت ان انشر هنا نسخة التوقيع المذكور مع طولهِ لجدّتهِ وخفائه قبل اليوم وعلى الخصوص لبلاغتهِ وفائدته التاريخية وموقعهِ بين آثار دمشق . ومع ان مُنشئهُ لم ينبّه على تاريخ كتابتهِ يُرجّح ان يكون سنة اثنتين وثلثين وسبعمائة للهجرة(١٣٣٢م) وهي السنة التي تنكّر فيها الملك الناصر محمد بن قلاوون على الصاحب شمس الدين غبريال

وورد فيها المرسوم للامير تنكز بالقبض عليه ومصادرته(١ ففيها ولا شكّ ولي الوزير امين الدين ابن تاج الرئاسة مكانه بدمشق الى ان لقي مثلَ جزائه ومات تحت العقوبة سنة اربعين وسبعمائة(١٣٣٩م). وكان الصاحبان شمس الدين وامين الدين المذكوران لما استسلم الجاشنكير الاميرُ ركن الدين بيبرس النصارى اختبأا نحو شهر بمصر ثم طال عليهما الامر فظهرا وأسلما

التوقيع الشريف لامين الدين القبطي بنظر النظّار بدمشق

قال الصفدي (٢ : «ولما رُسم الصاحب امين الدين بنظر النظّار بدمشق كنت اذ ذاك في ديوان الانشاء بالديار المصرية وكتبتُ له توقيعاً شريفاً. ونُسختُهُ: «الحمد لله الذي جعل ولي ايامنا الزاهرة اميناً، واحلّهُ من ضمائرنا الطاهرة مكاناً اينما توجّه وجههُ مكيناً، وخصّهُ بالاخلاص لدولتنا القاهرة فهو (٢٥٧ ٢٥٠) يقيناً يقيناً، وعضد بتدبيره ممالكنا الشريفة فكان على نيل الامل الذي لا يمينُ عيناً، وفجّر خلال خلاله نهراً اصبح على نيل السعود معيناً مُعيناً، وزيّن به آفاق المعالي فما رجا امراً الّا وكان فكرهُ صبحاً مبيناً، وجمّل به الرتب الفاخرة فكم قلّد جيدها عقداً نفيساً. ورصّع في تاجها درّاً ثميناً، واعانهُ على ما يتولّاهُ فهو الاسد الاشدّ الذي اتّخذ الاقلام عريناً، نحمدهُ على نعمه التي خصّتنا بوليّ تتجمّل به الدول، وتغنى الممالك بتدبيره على الانصار والخوّل، ونحمد ايامنا الشريفة عليه ايامُ من مضى من الملوك الأول، وتحل السعود حيث حلّ اذ لم يكن لها عنهُ حوَل، ونشهد ان لا إله الّا الله وحدهُ لا شريك لهُ شهادةً نستطر بها صوب الصواب، ونرفل منها في ثوب الثواب، ونذخر منها حاصلًا ليوم الحساب، ونعتد برّها واصلًا ليوم الفصل والمآب، ونشهد ان سيدنا محمداً عبدهُ الصادق الامين، ورسوله الذي لم يكن على الغيب بضنين، وحبيبهُ الذي فضل الملائكة المقربين، ونجيّهُ الذي أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى حجّةً على الملحدين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين صحبوا ووزروا، وايدوا حزبهُ ونصروا، وبذلوا في نصحه ما قدروا،

---

١) طالع المنهل الصافي لابن تغري بردي من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس الجزء الرابع عدد ٢٠٦٨ ص ٢٠

٢) اعيان العصر واعوان النصر عدد ٥٨٥٩ من المكتبة المذكورة ص ٢٥

وعدلوا في ما نهوا وامروا، صلاةً تكون لهم هُدًى ونورًا اذ حُشروا، ويضوعُ بها عَرفهم في الغُرَف ويطيب نشرهم اذا حُشروا، وسلّم تسليماً كثيرًا الى يوم الدين

وبعدُ فان اشرف الكواكب ابعدُها دارًا، واجلُّها سرًّا واقلُّها سِرارًا، وادناها مدارًا واعلاها منارًا، واطيب الجنات جناباً ما طاب ارَجاً وثمارًا، وفُجِّر خلالَهُ كلُّ نهرٍ تروع حصاهُ حالية العذارى، (٥ ٢٦ ٥٠) ورُنحت معاطفَ غصونهِ سلافةُ النسيم فتراها سكارى، وتمدّ ظلال القصور فتخال انها على جنّات الانهار تدبُّ عِذارًا، وكانت دمشق المحروسة لها هذه الصفات، وعلى صَفاها تهبّ نسمات هذه السمات، لم يتّصف غيرها بهذه الصفة، ولا اتفق اولو الالباب الّا على محاسنها المختلفة، فهي البقعة التي يطرب لاوصاف جمالها الجماد، والبلد الذي ذهب بعض المفسرين الى انها إرَم ذات العماد، وهي في الدنيا انموذج الجنة التي بها وُعد المتّقون، ومثال النعيم للذين عند ربهم يُرزَقون، وهي زهرة ملكنا، ودرّة سلكنا، وقد خلت هذه المدة ممن يراعي مصالح اموالها، ويرعى نجوم احوالها، ويدبّر امر مملكتها اجلّ تدبير، ويحمي حوزتها وغاشيتها من التدمير، فيديم منها غُفلًا، ويحلّي عُطلًا، ويملأ خزائنها خيرًا اذا ملأتا ساحتها خيلًا ورجلًا، تعيّن ان ننتدب لها مَن خبرناهُ بعدًا وقربًا، وهززناهُ مثقّفًا لدنًا وسللناهُ عضبًا، وخبأناهُ في خزائن فكرنا فكان اشرف من تذخّر واعزّ ما تخبا، كم نهى في الايام وامر، وكم شدّ ازرًا لما وزر، وكم غنيت به ايامنا عن الشمس والقمر، وكم رفعنا راية مجد تلقاها عرابةُ فضله بيمين الظفر، وكم علا ذُرى رتب تعزّ على الكواكب الثابتة فضلًا عمن يتنقل في المباشرات من البشر، وكم كانت الاحوال جُمادى فاعادها ربيعًا، غرّد به طائر الاقبال وصفر. وكان المجلس السامي القضائي الوزيري الصاحبي الاميني هو معنى هذه الاشارة، وشمس هذه الهالة وبدر هذه الدارة، نزل من العلياء في الصميم وفخر باقلامهِ التي هي سُمر الرماح كما فخرت بقوسها تميم، وتخنّثت الاحوال في دواتهِ (٥ ٢٦ ٥٠) التي يؤنّسها فآوت الى الكوف والرقيم، وقال لسان قلمهِ اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم،

عقم الزمان بان يجيء بمثلهِ انّ الزمان بمثلهِ لعقيمُ

وتشبّه به اقوام فبانوا وبادوا، وقام منهم عباد العناد فلما قام عبدالله يدعوهُ كادوا، اردنا ان ينال الشام فضله كما نالتهُ مصر فما يُساهم فيه سواهما ولا يقول لسان الملك لغيره

حللتَ بهذا حَلَّةً ثمَّ حَلَّةً بهذا فطاب الواديانِ كلاهما

فلذلك رُسم بالامر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري اعلاهُ الله وشرّفه ان يُفوَّض اليه تدبير الممالك الشريفة بالشام المحروس ونظرُ الخواصّ الشريفة والاوقاف المبرورة على عادة من تقدَّمهُ في ذلك وبحلومه الشاهد به الديوان المعمور الى آخر وقت وهو في الشهر مبلغ اربعة آلاف وستماية وثلثة وسبعون (كذا) درهماً. تفصيلهُ عن نظر المملكة الشريفة بالشام المحروس اربعة آلاف ومائة وثلثة وثلثين وثُلثين (كذا). مبلغ الفان وسبع ماية وثلثة وثمانون (كذا) وثُلثين ثمن لحم وتوابل الف وثلث ماية وخمسون درهماً. قمح غرارة ونصف. عن نظر الخاصّ الشريف مبلغ وثمن لحم وتوابله ثلثة ارطال بالدمشقي خمسماية واربعون درهماً (كذا) (١). غلّات عن الوظيفتين تسع وعشرون غرارة. تفصيله: قمح تسع غرائر. شعير عشرون غرارة. اصناف المشاهرة بالوزن الدمشقي: سكّر بياض اثنان وعشرون رطلًا (٢٢ ٥ ٢٧ ٥) ما ورد اوقية ونصف. صابون اوقيّة ونصف زيت طيّب (٢) نصف رطل والكسرة والتوسعة والاضحيّة والأتبان على العادة كمن تقدمهُ في ذلك (٣). فليتلقَّ هذه الولاية بالعزم الذي نعهده، والحزم الذي شاهدناه ونشهده، والتدبير الذي يعترف لهُ الصواب ولا يجحده، حتى

---

١) يصعب جدًّا ان يكون كتّاب الديوان قد حافظوا دائمًا في تفصيل حساباتهم وسرد ارقامهم على مراعاة قواعد الإعراب ولا شك ان الخطأ فيها كان فاشيًا بين اكثرهم اما جهلًا واما تجافيًا عن الحذلقة والتقعّر. ولذلك جاء في الامثال القديمة «ابردُ ممن يتسلسل النحو في الحساب». ولعلّ لحن الصفدي غير مرّة في ما تقدم هو من هذا القبيل الاخير

٢) الزيت الطيب هو زيت الزيتون خاصةً تمييزًا لهُ عن بقية الزيوت كزيت السلجم والسمسم والكتان وغيرها ولا يزال هذا الاصطلاح جاريًا في مصر

٣) يزيد حساب الصفدي في التفصيل ثُلثي درهم. ولا بأس من مراجعة زيادةً في الكشف والوضوح

٤٦٧٣ درهماً جملة المعلوم

عن نظر الشام ٣/٤١٣٣ منها

٣/٢٧٨٣ نقدًا.

٣/٤١٣٣ ١٣٥٠ ثمن لحم وتوابل

٥٤٠ ثمن لحم وتوابل عن نظر الخاص الشريف

٣/٤٦٧٣ درهماً

وهو ديوان الاملاك السلطانيّة

تنشر الاموال في اوراق الحساب، وتزيد غرًا وسموًا فتفوت الامواج في البحار وتفوق القطر في السحاب، مع رفق يكون في شدته، ولين يزين مضاء حدته، وعدل يعون مهلة مدته والعدل يعمر، والجور يدمر ولا يشعر، بحيث ان الحقوق تصل الى اربابها، والعالم تطلع بدورها كاملة في كل هلال على اصحابها، والرسوم لا تزاد على الطاقة في بابها، والرعايا يجنون ثمر العدل متشابها، واذا انعمنا على بعض اوليائنا بجُعل (١ فلا تُكدِّر بان تؤخر، واذا استدعينا لابوابنا بهم فليكن الاسراع اليه يُخجل البرق المتألق في السحاب المسخر، فما اردناك الا انك سهم خرج من كنانه، وشهم لا يثني الى الباطل عنانه ولا عنانه، فاشكر هذه النعم على مناحها، وشنِّف الاسماع بمدائحها، متحققًا ان في النقل، بلوغ العز والامل، وانه لو كان في شرف المأوى بلوغ منى لم تبرح الشمس يومًا دارة الحمل، فاستصحب الفرح والجذل، بدلَ الفكر والجدل، وبشِّر على بركة آرائنا الشريفة وقل: «وفي بلادٍ من اخترتَ بدلًا». واختر ما اخترته لك سعادة (٢ المؤيدة المؤيدة فطرفها بالذكاء مكتحل

ان السعادة في ما انت فاعلهُ ... وُفِّقتَ مرتحلًا ام غير مرتحلِ

فلما آثرنا بتوجهك الى الشام الا ليأتيك المجد من هنا وهنا، لانك اذا كنت منا في المعنى فما غبتَ في الصورة عنا، وابسط املك انك اليوم لدينا (٢٧° ٧°) مكين امين، ونزِّه نفسك فقد أويتَ الى ربوة ذات قرار ومعين، والوصايا كثيرة وانت ابن بجدتها علمًا ومعرفة، وفاوس نجدتها الذي لا يُقدم على امر حتى يعرف مصرفه، فما نحتاج ان نرشدك منها الى علم، ولا ان نشير اليك فيها بأنملة قلم، وتقوى الله عز وجل هي العروة الوثقى، والكعبة التي من تطوَّف بها فلا يضلُّ ولا يشقى، فعُضَّ بالناجذ عليها، وضُمَّ يديك على مَعطفيها، والله يتولى ولايتك، ويمين دربتك بالامور وعنايتك، والخط الشريف اعلاهُ الله وشرَّفه اعلاه، حجةٌ لثبوته والعمل بما اقتضاه، ان شاء الله تعالى.

وغنيٌ عن القول ان مثل هذا الراتب لم يكن يغني ابدًا بنفقات الوزراء بدمشق

---

١) في الاصل بجعل وهو خطأ ظاهر

٢) كذا في الاصل ولا شك انه سقطت من قلم الكاتب ام المؤلف لفظة بعد قوله «سعادة» ولا يخلو ان يكون الاصل: ما اختارته لك سعادة دولتنا المؤبدة المؤيدة

ومع ذلك لم يكن احدهم يلي هذا المنصب حتى ينكفئ عنهُ بثروة طائلة ومُقتنيات عريضة كانت تترامى شهرتها احياناً الى مسامع السلطان فلا يلبث ان يأمر باعتقال الوزير ومصادرتهِ حسبما نقلنا قبلاً عن الصاحب شمس الدين غبريال سلف صاحب التوقيع في وزارة دمشق . قال ابن تغري بردي: «وردَ المرسوم بالقبض عليهِ فأُمسك بدمشق وأُخذ منهُ اربعماية الف درهم . ثم طُلب الى القاهرة وأُخذ خطه بالف الف درهم (مليون) فأُفرج عنهُ بعد ان وزن المبلغ المذكور ما خلا مائتي الف درهم فاستطلق لهُ قروضون ذلك من السلطان. ثم تغيَّر خاطر السلطان ثانياً وقيل عنهُ ان لهُ ودائع في دمشق فكتب السلطان الى تنكز فتتبَّع ودائعهُ فظهر لهُ شيء كثير . ولمَّا مات سنة اربع وثلاثين وسبعمائة ظهر لهُ ايضاً جملة مستكثرة (١ »

ولا شك ان هذه الملايين الراهنة كان الوزراء اكثر ما يجمعونها من المظالم ومصادرات الكتَّاب في كل عزل وولاية وعلى الخصوص من التقادم والرُّشى . نعم ان الامير تنكز نائب الشام في ايام شمس الدين غبريال كان قد منع وامتنع من قبول التقادم والهدايا جملةً وانصف العامَّة والتجار بخلاص حقوقهم من الامراء. ولكنهُ ما عمَّ ان أُصيب بنفس الداء الذي اراد استئصال شأفتهِ . قال المقريزي: «فلما كانت آخر ايامهِ صادَر جماعةً كثيرة من كتَّاب السرّ وغيرهم ومن الضُّمَّان والعُرفاء. واتَّخذ الاملاك واخذ عدَّة اوقاف من اولاد الملوك حتى كانت غلة املاكهِ كل سنة مائة الف درهم» (٢ . ومن جملة هؤلاء الكتاب الذين استباح اموالهم فريق من اعيان النصارى كانوا في خدمة بعض الامراء وديوان الجيش اتَّهمهم بانهم احرقوا الجامع الاموي سنة اربعين وسبعمائة ليتمكن من نكبتهم واستصفى منهم ما يزيد على مليون درهم بعد ان افحش في تعذيبهم ورسم ان يُعملوا ويُطاف بهم يومين حول المدينة وفي الصالحيَّة بطولها مسترين على الجمال ثم امر بانزالهم وتوسيطهم اي قطعهم من اوساطهم وهم احد عشر نفراً. واضطرت حينئذٍ طائفة من النصارى ان

---

١) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي الجزء الرابع ص ٢٠ ٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المجلد الاول ص ٩٨٨

تدخل في دين الاسلام (١ . قال المقريزي : «فكتب السلطان (الناصر محمد بن قلاوون) الى تنكز يُنكر عليه قتل النصاري وان في ذلك إغراء اهل قسطنطينية بن يَرد اليهم من التجار المسلمين وقتلهم ويأمره ان يحمل ما وُجد لهم من المال» (٢ . وفي هذا القول اشارة الى ان المنكوبين كانوا من نصارى الروم الملكيين وهم اعظم طوائف النصارى بدمشق . فلما بلغ تنكز ان يرسل شيئاً من المال فغضب السلطان لذلك . قال ابن قاضي شهبه «وكانت احد ذنوب تنكز عند السلطان» (٣ وما لبث ان امر بالاحتياط عليه ونكبَهُ اشدّ نكبة

شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

تابع لترجمة ابي زُبَيْد الطائيّ

ومما رواهُ ابو علي القالي في اماليه (٣ : ١٨٣ — ١٨٥) ورفعهُ الى ابي عبيدة قال : اجتمع عند يزيد بن معاوية ابو زُبَيد الطائي وجميل بن مَعْمَر العذريّ والاخطل التَغْلَبيّ فقال لهم : أيكم يصف الاسد في غير شعر فقال ابو زُبَيد : «لونهُ وَرْد ، وزئيرهُ رَعْد (وقال مرّة اخرى : زَغْد) ، ورَبَّتُهُ شَدّ ، واخذهُ جِدّ ، وهولهُ شديد ، وشرّهُ عَتيد ، وناباهُ حديد ، وأنفهُ أَخْثم ، وخدّهُ أَدْرَم ، ومِشفرهُ أَدْلم ، وكفّاهُ عُراضتان ، ورِجْلتاهُ ناتئتان ، وعيناهُ وقّادتان ، كأنهما مِلحٌ بارق ، او نجمٌ طارق ، اذا استقبلتهُ ذُلْت أَفْدَع ، واذا استعرضتهُ قلتَ أَكْوَع ، واذا استدبرتهُ قلتَ أَصْمع ، بصيرٌ اذا استغضى ، هَمُوسٌ اذا مشى ، اذا قفّى كتش ، واذا جرى طمّش ، براثنهُ شثنة ، ومفاصلهُ مُتَرْعة ، مُضيق لقلب الجبان ، مروّع لماضي الجنان ، ان قاسَمَ ظَلَم ،

(١ من السلوك للمقريزي ومسالك الابصار للعمري ودرّة الاسلاك في دولة الاتراك لابن حبيب الدمشقي وتاريخ ابن اسباط المغربي ٢) السلوك ص ٦٨٣ ٣) ذيل ابن قاضي شهبة على تاريخ الاسلام للذهبي من مخطوطات باريس عدد ١٦٠٠ ص ٣